الزبير بن العوام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ

• ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

اسمه، ونسبه:

الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب.

أمه الصحابية الجليلة صفية بنت عبد المطلب، عمة النبي محمد صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مولده:

ولد قبل الهجرة بثمانية وعشرين سنة في مكة.

صفاته:

كان رجـلًا طويـلًا إذا ركب خطت رجـلاه الأرض، وكان خفيف اللحية والعارضين.

حياته:

حواري رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابن عمته صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشـهود لهم بالجنة، وأحد السـتة أهل الشورى، وأول من سل سيفه في سبيل الله، أبو عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أسلم وهو حدث، صغير.

عن عروة قال: نفحت نفحة من الشـيطان أن رسول الله أخذ بأعلى مكة، فخرج الزبير وهو غلام، ابن اثنتي عشرة سـنة، بيده السـيف، فمن رآه عجب، وقال: الغلام معه السيف، حتى أتى النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: مـا لك يا زبير؟ فأخبره، وقال: أتيت أضرب بسـيفي من أخذك. وهاجر الزبـير وهـو ابن ثمان عشرة سـنة، وكان عمـه يعلقه ويدخـن عليه، وهو يقول: لا أرجع إلى الكفر أبدًا.

وكانـت أمه صفية تضربه ضربًا شـديدًا وهو يتيـم، فقيل لها: قتلته، أهلكته، قالت:

إنـما أضربـه لكـي يـدب ... ويجـر الجيـش ذا الجلـب

قـال: وكـسر يد غلام ذات يوم، فجيء بالغـلام إلى صفية، فقيل لها ذلك، فقالت:

كيف وجـدت وبرا أأقطا ... أم تمـرا أم مشـمعلا صقرا

كان يوم بدر مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فارسان: الزبير على فرس على الميمنة، والمقداد بن الأسود على فرس على الميسرة.

وكانت على الزبير يوم بدر عمامة صفراء، فنزل جبريل على سيماء الزبير.

وهو ممن هاجر إلى الحبشة ولم يطول الإقامة بها.

لما انصرف المشركون من أحد، وأصاب النبي، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه ما أصابهم، خاف أن يرجعوا، فقال: من ينتدب لهؤلاء في آثارهم، حتى يعلموا أن بنا قوة، فانتدب أبو بكر والزبير في سبعين، فخرجوا في آثار المشركين، فسمعوا بهم، فانصرفوا، قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٤] لم يلقوا عدوًّا.

وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يوم الخندق: من يأتينا بخبر بني قريظة؟ فقال الزبير: أنا، فذهب على فرس، فجاء بخبرهم. ثم قال الثانية، فقال الزبير: أنا، فذهب، ثم الثالثة، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لكل نبي حواري، وحواري الزبير**»(١). قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: وروى الحاكم بإسناد صحيح عن عروة قال: أسلم الزبير وهو ابن ثمان سنين. قوله وقال ابن عباس: هو حواري النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. هو طرف من حديث سيأتي في تفسير براءة من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس، ولهذا الحديث طرق، من أغربها ما أخرجه الزبير بن بكار من مرسل أبي الخير مرثد

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١١ رقم٤١١٣)، ومسلم (٤/ ١٨٧٩ رقم٢٤١٥).

ابـن اليزني بلفـظ: «**حـواري من الرجـال الزبير، ومن النسـاء عائشـة**»، ورجاله موثقون لكنه مرسل[(١)].

وعن أبي هريرة، أن رسـول الله ﷺ كان على حراء، فتحرك. فقال: «**اسكن حراء ! فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد. وكان عليه أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير**»[(٢)].

وكان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مـن العشرة المشـهود لهم بالجنة، ومـن البدريين، ومن أهـل بيعة الرضوان، ومن السـابقين الأولين الذين أخـبر تعالى أنه رضي عنهم ورضوا عنه.

تزوج أسـماء بنت أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهاجرا إلى المدينة، فولد له أول مولود للمسلمين في المدينة، عبدالله بن الزبير، ثم مصعب.

ولقـد أوصى إلى الزبـير سـبعة مـن الصحابـة، منهـم عثـمان، وابن مسعود، وعبدالرحمن، فكان ينفق على الورثة من ماله، ويحفظ أموالهم.

كان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فلا يدخل بيته من خراجهم شيئًا. بل يتصدق بها كلها.

وقـد ترك الزبير من العروض خمسـين ألف ألف درهم، ومن العين خمسين ألف ألف درهم.

وعـن ابن الزبير قـال: لما وقف الزبير يوم الجمل، دعاني، فقمت إلى جنبه، فقال: يا بني! إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم، وإني لا أراني إلا

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٨٠).

(٢) تقدم تخريجه.

سأقتل اليوم مظلومًا، وإن من أكبر همي لديني، أفترى ديننا يبقي من مالنا شيئًا؟ يا بني! بع ما لنا، فاقض ديني، فأوصى بالثلث، وثلث الثلث إلى عبدالله، فإن فضل من مالنا بعد قضاء الدين شيء، فثلث لولدك.

قال هشام: وكان بعض ولد عبدالله قد وازى بعض بني الزبير خبيب وعباد، وله يومئذ تسع بنات، قال عبدالله: فجعل يوصيني بدينه، ويقول: يا بني! إن عجزت عن شيء منه، فاستعن بمولاي، قال: فوالله ما دريت ما عنى حتى قلت: يا أبة! من مولاك؟ قال: الله عزوجل! قال: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه، فيقضيه.

قال: وقتل الزبير ولم يدع دينارًا ولا درهمًا، إلا أرضين بالغابة، ودارًا بالمدينة، ودارًا بالبصرة، ودارًا بالكوفة، ودارًا بمصر.

قال: وإنما كان الذي عليه أن الرجل يجيء بالمال، فيستودعه، فيقول الزبير: لا ولكن هو سلف، إني أخشى عليه الضيعة.

وما ولي إمارة قط، ولا جباية، ولا خراجًا، ولا شيئًا، إلا أن يكون في غزو مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو مع أبي بكر، وعمر، وعثمان.

فحسبت دينه، فوجدته ألفي ألف ومئتي ألف، فلقي حكيم بن حزام الأسدي عبدالله فقال: يا ابن أخي؟ كم على أخي من الدين؟ فكتمه، وقال: مئة ألف، فقال حكيم: ما أرى أموالكم تتسع لهذه! فقال عبدالله: أفرأيت إن كانت ألفي ألف ومئتي ألف! قال: ما أراكم تطيقون

هذا، فإن عجزتم عن شيء، فاستعينوا بي، وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومئة ألف، فباعها عبدالله بألف ألف وست مئة ألف، وقال: من كان له على الزبير دين، فليأتنا بالغابة.

فأتاه عبدالله بن جعفر، وكان له على الزبير أربع مئة ألف، فقال لابن الزبير: إن شئت، تركتها لكم، قال: لا، قال: فاقطعوا لي قطعة، قال: لك من هاهنا إلى هاهنا، قال: فباعه بقضاء دينه، قال: وبقي منها أربعة أسهم ونصف، فقال المنذر بن الزبير: قد أخذت سهمًا بمئة ألف، وقال عمرو بن عثمان: قد أخذت سهمًا بمئة ألف، وقال ابن ربيعة: قد أخذت سهمًا بمئة ألف، فقال معاوية: كم بقي؟ قال سهم ونصف، قال: قد أخذته بمئة وخمسين ألفًا، قال: وباع ابن جعفر نصيبه من معاوية بست مئة ألف، فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه، قال بنو الزبير: اقسم بيننا ميراثنا، قال: لا والله! حتى أنادي بالموسم أربع سنين: ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه، فجعل كل سنة ينادي بالموسم، فلما مضت أربع سنين قسم بينهم. فكان للزبير أربع نسوة. قال: فرفع الثلث، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومئة ألف، فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف[1].

وفاته:

استشهد الزبير بن العوام في سنة ست وثلاثين من الهجرة، وهو ابن ست أو سبع وستين سنة[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٨٧-٨٨ رقم٣١٢٩).

(٢) انظر: سير أعلام النبلاء (١/ ٤١-٦٧).

أسباب نزول الآيات

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

إن هذه الآية نزلت في الزبير في قصة جرت له مع أنصاري كان جارًا له. وقد وردت مجريات هذه القصة في رواية في الصحيحين، تقول الرواية: إن رجلاً من الأنصار -وبعض الراويات تذكر أنه حاطب بن أبي بلتعة، وبعضها يذكر أنه ثعلبة بن حاطب- خاصم الزبير بن العوام في ماء يجري في أرض كل منهما، فاختصما إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**»، فقال الأنصاري: يا رسول الله! أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم قال: «**اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك**»، (والجدر هو ما يدار بالنخل من التراب كالجِدار). تقول الرواية: قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾(١). فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أذن للزبير في السقي على وجه المسامحة، فلما أساء خصمه الأدب، ولم يعرف حق ما أمر به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المسامحة لأجله، أمره النبي عليه الصلاة والسلام باستيفاء حقه على سبيل التمام، وحمل خصمه على مُرِّ الحق(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١١١ رقم٢٣٥٩)، ومسلم (٤/ ١٨٢٩ رقم٢٣٥٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٢٠-٥٢٤)، وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٩٣-٩٩٤)، وتفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٩-٣٥٢).